الحداثة
مفهومها ونشأتها وأصولها وأثرها على العالم الإسلامي

الأستاذ الدكتور/ ناصر بن عبد الله القفاري
أستاذ الدراسات العليا بجامعة القصيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فيعود اهتمامي بالمذاهب المعاصرة إلى ما قبل أكثر من أربعين سنة، وذلك حين كتبت (الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة) بالاشتراك مع زميلي أ. د. ناصر العقل –حفظه الله–، ثم تواصلت متابعتي لدراسة المذاهب الفكرية المعاصرة حين كلفت بوضع مقرر دراسي في (العقيدة والأديان والاتجاهات المعاصرة) بالاشتراك مع بعض الزملاء، وتم طباعة هذه الدراسة كمقرر دراسي تحت هذا العنوان.

ثم درَّست المذاهب الفكرية لسنوات طويلة في كلية التربية للبنات، وفي قسم الدراسات الإسلامية في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية للطلاب، ثم تعمقت في دراستها حين درَّست الفلسفة الحديثة والمعاصرة لطلاب الدكتوراه.

وما من شك أن العالم الإسلامي يموج اليوم بكثير من التيارات والمذاهب الفكرية التي تم استيرادها من البيئة الغربية، وعلى الرغم من مصادمة هذه الأفكار والمذاهب الغربية لأصول الإسلام ومحكمات الشريعة إلا أن دعاتها حاولوا صبغها بالصبغة الإسلامية لتروج وتنتشر بين المسلمين، وزعموا أن الأخذ بهذه المذاهب فيه نهضة الأمة من كبوتها، وأنه لا سبيل للإصلاح والتقدم إلا بالسير في ركابها، لكن أثبت التاريخ والواقع أن هذه المذاهب كانت حجر عثرة في طريق نهضة الأمة، بل كانت سببا في المزيد من تأخرها وانهزامها وتبعيتها للثقافة الغربية، مما أدى إلى ذوبان الهوية وضياع الشخصية في كثير من مظاهر الحياة في العالم الإسلامي.

ولا يخفى أهمية دراسة هذه المذاهب والتيارات، خاصة في هذا الوقت الذي تتعرض فيه الأمة الإسلامية لغزو فكري منظم يستهدف عقيدتها وأخلاقها وقيمها، لا سيما وأن هذه المذاهب قد وجدت لها دعاة من أبناء جلدتنا، وممن يتسمون بأسمائنا ويعيشون بيننا.

ومن أخطر هذه المذاهب وأكثرها رواجا وشيوعا على ألسنة النخبة المثقفة (الحداثة) التي تسعى إلى هدم كل قديم، ونقض كل ما هو ثابت، وزعزعة كل ما هو مستقر، ونزع القداسة عن كل ما هو مقدس، وقد انخدع بعض الناس باسمها البراق ظنا منهم أنها دعوة إلى التجديد والتطوير، وسبيل إلى النهضة والتقدم، حتى قال د. طه عبد الرحمن: «هذا المفهوم وقع تهويله والغلو فيه بما لم يقع لغيره من المفاهيم الرائجة، حتى كأن الحداثة تأتينا بإنسانية أخرى وتاريخ آخر»[(١)]، ولذا أحاط هذا المصطلحَ الغموضُ والخفاءُ والتعقيدُ.

وقد رأيت أن الحاجة ماسة إلى دراسة هذا المذهب دراسةً مختصرة جامعة للمتفرق، ببيان مفهوم الحداثة وحقيقتها ونشأتها وأصولها، وأثرها على العالم الإسلامي، لا سيما وأن دراسة الحداثة مطلب أكاديمي مقرر في بعض الجامعات.

كذلك فإن هذه المذاهب تتغير وتتطور وتحيا وتموت ويغير فيه أصحابها ويبدلون وقد يتخلون عنها ويشيعونها لمثواها الأخير، ولكن يظل لها في عالمنا الإسلامي دعاة ومتحمسون، فمن المهم ملاحقة هذه التطوات بالبحث والتتبع.

ومما تجدر الإشارة إليه في دراسة الحداثة أن الباطنية قد تلبس ثوب الحداثة تدليسا وتلبيسا كما هو واقع بعض رموز الحداثة، والباحث معنيٌّ بدراسة التوجهات الباطنية منذ أكثر من قرابة نصف قرن من الزمان، وهذه أحد أساليب الباطنية الخفية والتي لها وسائل في الكيد لا تدري اليهود بعشرها،كما يقول الإمام الدهلوي[(٢)]، بل لهم أساليب في المكر لا تصل الشياطين إلى خبثها كما يقول الإمام الألوسي[(٣)].

الدراسات السابقة:

تناول كثير من الباحثين دراسة الحداثة من زوايا متعددة وجهات مختلفة، ومن أهم هذه الدراسات[(٤)]:

(١) الحداثة والمقاومة، د. طه عبد الرحمن (ص: ١٩).

(٢) انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية، للألوسي (ص: ٢٥).

(٣) انظر: السيوف المشرقة مختصر الصواقع المحرقة، للألوسي (ص: ٣٦) .

(٤) اقتصرت على الدراسات النقدية للحداثة من وجهة نظر إسلامية.

١-الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية، د. محمد بن عبد العزيز العلي، وهو رسالة دكتوراه بقسم العقيدة والمذاهب، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢-المنهج السلفي لا الحداثة طريق النهضة، د. مصطفى حلمي.

٣-الحداثة والمقاومة، د. طه عبد الرحمن.

وتتميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بما يلي:

١-أن هذه الدراسة تناولت تحرير مفهوم الحداثة من خلال خصائصها التي تميزت بها عن غيرها من المذاهب.

٢-اهتمت هذه الدراسة ببيان الآثار السلبية للحداثة على العالم الإسلامي من خلال مجالات مختلفة، كالمجال العقدي والاجتماعي والسياسي والتعليمي والإعلامي؛ وذلك لأن الآثار لا يمكن ضبطها ووضع حدود لها إلا من خلال هذه المجالات.

٣-تناولت هذه الدراسة النقد الموجه للحداثة من قِبَل بعض الباحثين الغربيين الأمر الذي أدى ببعضهم إلى الإعلان عن انتهاء عصر الحداثة، ثم تطور الأمر إلى إعلان بعضهم نهاية عصر ما بعد الحداثة، وقد تعرضت الدراسة لهذه التطورات.

٤-جمعت هذه الدراسة ما تفرق في الدراسات السابقة مع الاختصار غير المخل، وتجنب التطويل الممل.

٥-أن هذه الدراسة تناولت الموضوع وفق منهج الإسلام المعتمد على الكتاب والسنة.

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى الوصول إلى الأهداف التالية:

١-الكشف عن حقيقة الحداثة بما بزيل اللبس والغموض عنها.

٢-بيان تاريخ نشأة الحداثة وظهورها في العالم الغربي، وتاريخ انتقالها إلى العالم الإسلامي.

٣-الأصول والمبادئ التي يقوم عليها مذهب الحداثة.

٤-الآثار السلبية المترتبة على الحداثة في العالم الإسلامي.

مشكلة البحث:

تتركز مشكلة البحث فيما يلي:

١-الغموض واللبس الذي يحيط هذا المصطلح مما جعله عصيا على التحديد والتعريف.

٢-كثرة المؤلفات التي تناولت الحداثة من جهات مختلفة بين مادح وقادح.

٣-موت الحداثة في بيئتها الغربية التي نشأت فيها، مع استمرار وجودها ونشرها والدعوة إليها في العالم الإسلامي.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة وتتضمن أهمية الموضوع والدراسات السابقة ومشكلة البحث والخطة.

المبحث الأول: مفهوم الحداثة ونشأتها.

المبحث الثاني: أصول الحداثة.

المبحث الثالث: أثر الحداثة السلبي على العالم الإسلامي ونهايتها.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه والناظر فيه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول: مفهوم الحداثة ونشأتها

مفهوم الحداثة:

يذهب بعض الباحثين إلى أن الحداثة ذات مفهوم غامض لا يمكن تحديده بتعريف دقيق حتى قال بعضهم: «الحداثة تعاند كل تعريف»[١]، وقال آخر: «هذا المصطلح لا يزال عصيًّا على التحديد الدقيق»[٢]، وكان ذلك محل شكوى طائفة من الدارسين للحداثة حتى قال صاحب كتاب (الحداثة الفكرية): «يشكو العديد من الدارسين من غموض معنى الحداثة... الحداثة لفظ غامض يضعنا أمام مشكلات متنوعة وعويصة»[٣]، ويقول توني بينكني: «لقد أوضح نقاد كثيرون ذوو توجهات متباينة أن الحداثة غير محددة على نحو يدعو للإحباط، كما أنها عصية شموس من حيث تحديدها الزمني بين كل مذاهب تاريخ الفن ومفهوماته»[٤].

وربما كان هذا الغموض بسبب «تعدد وعدم تحدد مدلولاتها»[٥]؛ لأنها دخلت في جميع مناحي الحياة الفكرية والتقنية، فهناك الحداثة التقنية، والحداثة الاقتصادية، والاجتماعية... إلخ، وبالتالي فكل اتجاه يعرفها من منطلقه الفكري، وبهذا حدث الغموض، بل ربما أدى هذا التعدد وعدم التحدد إلى التناقض.

حتى قيل: «التناقض والغموض سمتان للحداثة، ابتداء من الوجود الإنساني حيث يشمل الحداثة التقنية والحداثة الاقتصادية، وأخرى اجتماعية وثقافية وفلسفية...»[٦].

فـ«الحداثة لا تمثل رؤية فلسفية واحدة للكون والحياة والإنسان، بل هناك مجموعة رؤى ونظريات حداثية، وقد تختلف بعيدا فيما بينها، وهي جميعا رؤى حداثية»[٧].

وإذا كان «من العسير كل العسر تطويق معنى الحداثة، وضبط كل مكوناتها؛ فإن من اليسير رصد بعض معالمها وعلاماتها في بعض المجالات»[٨].

ولهذا يمكن بيان مفهوم الحداثة من خلال أخص خصائصها وأبرز معالمها وأظهر علاماتها، فيقال في بيان مفهومها: هي مذهب فكري يسعى لهدم كل موروث، والقضاء

---

(١) الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة (نموذج هابرماس)، محمد نور الدين أفاية (ص: ١٠٧).

(٢) مدخل إلى التنوير الأوروبي (ص: ٢٤١).

(٣) الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر، عبد الرحمن اليعقوبي (ص: ٢٥-٢٦).

(٤) طرائق الحداثة ضد المتوائمين الجدد، رايموند ويليامز (ص: ١٢).

(٥) الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر (ص: ٢٥-٢٦).

(٦) المصدر السابق (ص: ٢٥).

(٧) الأسس الفلسفية للحداثة، صدر الدين القبانجي (ص: ١٤).

(٨) مدارات الحداثة، د. محمد سبيلا (ص: ١٢٣) بتصرف.

على كل قديم. فهي هنا ليست بمعنى التحديث والأخذ بالجديد المفيد ولكنها رفض للماضي بكل ما فيه من نافع أو ضار.

ومما يدل على هذا التعريف أقوال الحداثيين من الغرب والشرق، ومن شواهد ذلك ما يلي:

يقول الفيلسوف الفرنسي جان بودريار –المتخصص في فلسفة ما بعد الحداثة– في تعريف الحداثة بأنها: «صيغة مميزة للحضارة... تعارض جميع الثقافات الأخرى السابقة أو التقليدية...»(١). فهي تعارض كل ثقافة سابقة أيا كان نوعها ومهما كان نفعها.

ويقول كالنيسكو: «إن الحداثة الغربية في جوهرها ظاهرة تعكس معارضة جدلية ثلاثية الأبعاد:

- معارضة للتراث،
- ومعارضة للثقافة البرجوازية بمبادئها العقلانية والنفعية وتصورها لفكرة التقدم،
- ومعارضتها لذاتها كتقليد أو شكل من أشكال السلطة أو الهيمنة، أي: أنها لا تمثل انفصالًا عن الماضي ورفضًا لمقاييسه الثابتة، أو ثورة على القيم البرجوازية السائدة فحسب، بل تمثل ثورة دائمة أبدية في تطلعها المستمر إلى قيم جديدة، وأشكال وأساليب تعبيرية جديدة»(٢).

فهي كما ترى في قول كالنيسكو لا تكتفي بمعارضة الماضي بثوابته، بل تشكل ثورة مستمرة دائمة.

يقول جون دون –وهو من أصحاب هذا التيار–: «إن ما ينبغي أن يكون حديثا لا ينبغي أن يساير أية نزعة أيديولوجية كهنوتية، يعتنقها أي مجتمع آخر في الماضي أو الحاضر أو المستقبل»(٣) فهي تعارض أي معتقد.

وأغرب أمر في مفهوم الحداثة أنها تقاطع الماضي تماما، لكنها تستثني من هذه المقاطعة كل ما هو سيء ومنحط، فيصبح هذا السيء في منظورها حسنًا إلى درجة الفتنة والإثارة، يقول الشاعر الفرنسي وأحد رموز الحداثة في العالم شارل بودلير: «إن نظرية الحداثة تقوم على أساس أن كل ما هو مظلم بائس منحط في النظرة السائدة التقليدية يصبح في منظور الحداثة فاتنا مثيرا»(٤)، فهي تستثني كل مذهب أو ظاهرة مخالفة

(١) مجلة فصول مج٤، ج١، ع٣، ١٩٨٤م، ص١٣، ١٤.
(٢) مجلة فصول ع٤، عام ١٩٨٤م، ص١٤.
(٣) الثقافة والفكر، جون دون (ص:٤٠).
(٤) الحداثة والتراث، عبد المجيد بوقرية (ص: ٣).

للسائد والمألوف، ولهذا نجد الحداثيين مع ثورتهم على القديم، إلا أنهم يثنون على الخوارج، والباطنية، والفلاسفة، ويشيدون بإنتاجهم.

ومن هنا يتبين أن أخص مفاهيم الحداثة هو: «الثورة على كل ما هو قديم وثابت، والنفور من كل ما هو سائد من أمور العقيدة والفكر والقيم واللغة والشؤون السياسية والأدبية والفنية»(١).

نشأة الحداثة:

الحداثة في أصلها غربية النشأة ترجع إلى طبيعة الديانة النصرانية المحرفة، وإلى طغيان رجال الدين الكنسي، وهيمنة الكنيسة وعدوانها، تقول إحدى المنتميات لهذا الاتجاه الحداثي(٢): «تمثلت الحداثة الأوروبية منذ بداياتها في الصراع مع المؤسسات الدينية وقوانين الكنيسة والتقاليد الاجتماعية والمفهومات الموروثة، ثم في مرحلة متأخرة مع التقاليد الأدبية لصالح مبادئ الحرية والفردية والابتكار»(٣).

ويرجع تاريخ نشأتها إلى «القرنين السابع عشر والثامن عشر [حيث] تم وضع الأسس الفلسفية والسياسية للحداثة، والتي تمثلت في الفكر الفرداني والعقلاني الذي كان ديكارت وفلاسفة التنوير أهم من دعا إليه وبشر به»(٤).

ولذلك يقول صاحب الحداثة الفكرية: «القرن السابع عشر والثامن عشر قد دَشَّنا وضع الأسس العميقة للحداثة»(٥).

ثم قام هيجل بتنميتها وتطويرها، يقول هابرماس: «لقد كان هيجل الفيلسوف الأول الذي نمى بكل وضوح مفهومًا للحداثة»(٦).

«أما كلمة حداثة Modernite فلم تشتق إلا في منتصف القرن التاسع عشر، وفي عام ١٨٤٩م تحديدًا، ويعتقد بأن الشاعر بودلير هو أول من استخدمها، وقد اعتبرت وقتها شاذة أو قبيحة من قِبَل الجمهور، وذلك قبل أن تنتشر»(٧).

وقد استعمل لفظ الحداثة سنة ١٩٠٨م بمعنى التجديد في العقيدة الكاثوليكية خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين(٨).

---

(١) الحداثة في العالم العربي، د. محمد بن عبد العزيز العلي (ص: ١٢٦).

(٢) وهي خالدة سعيد زوجة أدونيس أحد دعاة هذا المذهب.

(٣) مجلة فصول مج٤، ج١، ع٣، ١٩٨٤م (ص: ٢٧). فهي تقوم على ثلاثة مبادئ رئيسة: ١- الحرية ٢- والفردية ٣- والابتكار، أو ما يسمونه: التجديد.

(٤) الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة (ص: ١١٤). وانظر في عرض الاختلاف بين المفكرين الغربيين في نشأة الحداثة: ما بعد الحداثة دراسة في المشروع الثقافي الغربي، باسم علي خريسان (ص: ٢٢-٢٣).

(٥) الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر (ص: ٣٤).

(٦) القول الفلسفي للحداثة، هابرماس (ص: ١٢).

(٧) مدخل إلى التنوير الأوروبي (ص: ٢٤١).

(٨) انظر: الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر (ص: ٢٨).

نشأة الحداثة العربية:

يتبين من استقراء أقوال الحداثيين العرب أنهم استوردوها من الغرب من باب التقليد الأعمى وفق النظرية التي قررها ابن خلدون وهي: ولع المغلوب بتقليد الغالب[١]، فالحداثة تمثل ذروة الارتماء في أحضان الثقافة الغربية، يقول عبد الرحمن اليعقوبي: «الحداثة في تجلياتها الحالية سواء كحدث تاريخي أو كمفهوم نظري هي إنتاج غربي في الزمان والمكان»[٢].

ولذلك فـ «إن كثيرًا من الناس يجعلون الحداثة مرادفة لفكر الغرب، وتعبيرًا عن قيمه وتصوراته، وعن موقفه من الزمان والمكان والإنسان»[٣].

وقد طالبت إحدى الداعيات لهذا المذهب بـ«إعادة رسم خارطة المقدسات» وعللت ذلك بقولها: «وهذا هو ما فعله الغرب»[٤].

وإذا كان عذر الغربيين في حداثتهم طغيان الكنيسة ومحاربتها للعلم، ولأنهم لم يعرفوا الدين الحق، لكن لا يسوغ لأهل الإسلام الذين يملكون الدين الحق الذي جاءهم من عند الله عز وجل أن يسلكوا مسلكهم.

أما تاريخ دخول الحداثة وانتقالها إلى العالم الإسلامي، فبعضهم يرجع الحداثة العربية إلى زمن متأخر فيربط ظهورها في العالم العربي بهزيمة عام ١٩٦٧م، حيث يقول بأن الحداثة «بدأت بعد نكسة ١٩٦٧م، ثم أصبحت تيارا قويا عالي الصوت مع صدور مجلة فصول المصرية في بداية الثمانينيات»[٥].

والأقرب أن نشأة الحداثة كانت قبل ذلك، فقد أخذت الحداثة العربية صورة التنوير من نظيرتها الغربية، فنبذت الدين، وأعلنت الدولة القومية، وانخلعت من التراث بكامل مكوناته، واستمرت حداثة نخبوية، ثم انتقلت آثارها إلى بعض الشعوب منذ بدايات القرن العشرين وأواخر القرن التاسع عشر، ولاسيما في شعارات التحرر المزعومة، وخاصة في جانب تحرر المرأة، والإعراض عن الدين، وبلغت الحداثة ذروتها بصورتها الماركسية الرافضة للدين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وظهور الاتحاد السوفيتي كقوة مؤثرة وفاعلة على الساحة العسكرية والفكرية، وكمشروع تحرري ثوري، فبقيت

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون (١/ ٢٥٧)، تحقيق: د. إبراهيم شبوح.

(٢) الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر (ص: ٢٣).

(٣) الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة (ص: ١٠٧).

(٤) قالته فاطمة المرنيسي في ندوة: مواقف الإسلام والحداثة (ص: ٣٩٩)، وانظر: (ص: ٣٩٧–٣٩٨).

(٥) الحداثة وانتقاداتها، إعداد وترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي (٢/ ٦).

الحداثة العربية على ما هي عليه، ولم تحرز تقدما يذكر، خاصة عندما تصدى لها أهل العلم الذين دعوا إلى تحكيم الشريعة، ورفض مبدأ العلمانية[١].

وقد ارتبط دخول الحداثة –فيما يرى بعضهم– «إلى الفضاء العربي الإسلامي منذ البداية بصدمتين قويتين: صدمة الحداثة ذاتها بجدتها وغرابتها وغرائبيتها وأعاجيبها وقدرتها السحرية والساحرة، ملفوفة في صدمة أخرى هي صدمة الاستعمار وزوال السيادة، مع ما ولَّدته هذه الصدمة من شعور بالدونية والتأخر»[٢].

وقد تم إعلان هذا المذهب باسم الحداثة في عام ١٩٥٧م في "تجمع شعر" في بيروت، على يد من تبنى هذا المذهب وهو يوسف الخال؛ الذي يعدُّه كثيرٌ من الحداثيين مؤسس الحداثة العربية؛ وبخاصة من خلال كتابه "الحداثة في الشعر العربي"، و"مجلة شعر"[٣].

وكان مجال الأدب والشعر من أهم الأبواب التي ولجت منها الحداثة إلى مجتمعاتنا العربية عن طريق المجلات الفكرية الأدبية الحداثية، كمجلة شعر والمقتطف ومواقف وغيرها[٤]، «وكان من أوائل الحركات التي مهدت للحداثة في العالم العربي الحركة التجديدية التي قام بها شعراء المهجر، والتي كان لها الأثر الواضح في انتشار الترجمات والثقافات الأوروبية، وشيوع الاتجاه الرومانسي والرمزي في البلاد العربية»[٥].

(١) انظر: الحداثة العربية: المفهوم والنشأة ومصادرها من التراث (ص: ٥٣).

(٢) الحداثة وانتقاداتها، إعداد وترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي (٢/ ٦).

(٣) انظر: الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية (ص: ٤٨٤).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص: ٢٣٩).

(٥) المصدر السابق (ص: ٢٤٠).

المبحث الثاني: أصول الحداثة

من أبرز أصول الحداثة ما يلي:

أولًا: رفض القديم:

يقول عبد الوهاب بوهديبا –وهو من المنتمين لهذا التيار–: «الحداثة ليست بتبني طريقة جديدة في العيش والتفكير بقدر ما هي رفض للقديم»(١).

ويقول إدوار الخراط –وهو أيضًا ممن يذهب لهذا المذهب–: «التعريف الأول للحداثة أنها نفي وأنها نقيض نظام من التقاليد التي رسخت ... الحداثة تنطوي إذن على قلق لا يريم، دائم لا يعفو عليه الزمن، تنطوي على نوع من الهدم المستمر في الزمن دون أن يتحول إلى بنية ثابتة تنطوي على سؤال مفتوح، لا تأتي السنوات بإجابة عنه، وهذه هي القيمة الإيجابية التي تنطوي على النفي وتجاوزه في نفس واحد»(٢).

ويذكر جابر عصفور –وهو ممن ينتمي لهذا الاتجاه– أن الحداثة هي: «خلخلة لكل ما هو ثابت»(٣) فهي تقوم على زعزعة الثوابت مهما كانت شرعيتها ولو كانت تستند إلى وحي الله وشرعه.

ثانيًا: عبادة الجديد وتقديسه:

أصبح الجديد في نظر الحداثة هو صنمها المقدس سواء كان نافعا أو ضارا، يقول هنري لوفيفر: «وقد ظهرت الحداثوية أي عبادة الجديد، من أجل الجديد وإرفاقه بنزوع صنمي ... مع ظهور فكرة الأسلوب الحديث»(٤).

ويقول أحمد زكي عن الحداثة بأنها: «تفضيل كل ما هو عصري أو مستحدث عن كل ما هو قديم»(٥).

ثالثًا: معارضة الدين:

الحداثة في مفهومها الغربي ثورة على الدين الكنسي، وهذا ما يحاول بعض الحداثيين العرب استنساخه بصيغته الغربية تماما وتطبيقه على دين الإسلام.

يقول أدونيس: «ومبدأ الحداثة هو الصراع بين النظام القائم على السلفية، والرغبة العاملة لتغيير هذا النظام ...»(٦). فهو هنا يصرح بأن الحداثة عندهم تقوم على مبدأ الصراع من أجل تغيير النظام الإسلامي الذي يعبر عنه بالسلفية.

---

(١) قضايا وشهادات (١١٠/٢).

(٢) مجلة فصول، مج٤، ع٤، ١٩٨٤م، (ص: ٥٧).

(٣) مجلة إبداع، ع٤ رمضان، ١٤١١هـ (ص: ٢٧).

(٤) ما الحداثة (ص: ١٥).

(٥) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي (ص: ٢٧٢).

(٦) الثابت والمتحول (٣/ ٩).

ويقول جابر عصفور: «من الطبيعي أن يمثل خطاب الحداثة نقيضا صارما لكل ما ينطوي عليه خطاب إسلام النفط من دلالات»[١]. هكذا يسميه إسلام النفط وهو بهذا يلمز المنهج السلفي، وذلك لأن أبرز معالم المنهج السلفي التمسك بما كان عليه السلف أهل القرون الفاضلة في الاعتقاد والعبادة والسلوك، وهو ما يناقض مبدأ الحداثة في عدائها وثورتها على كل ما هو قديم.

ثم يكشف بعض الحداثيين عن وجه الحداثة الحقيقي وأنه الإلحاد الصراح والكفر البواح، تقول أنيسة الأمين –وهي ممن يعتنق هذا المذهب–: «أزاح الغرب إنجيله من مكان الصدارة، وابتدأ البحث عن إنجيل التقدم والعقلانية والتطور ... أصبح الإنسان مع نزع هالة التقديس والألوهة عن الكون ومدبره، أصبح يقع في مركز الكون، ويشكل مبدأ القيم والغايات وعندئذ ترسخت الحركة الإنسانوية ...»[٢].

بل ويتجاوزون ذلك إلى سب الله سبحانه وتعالى، فيقول حسن حنفي بأن هدف الحداثة: «إعدام المؤلف والإنسان والله»، وأنها «تعلن موت الإنسان بعد أن أعلنت موت الإله»[٣].

ويقول د. مصطفى حلمي: «وتتضح نظرة الحداثيين للدين من ثلاثة مواقف:

١- أنسنة الدين، أي: إرجاع الدين إلى الإنسان وإحلال الأساطير محل الدين.

٢- تطبيق المبادئ النقدية الوافدة على النصوص المقدسة.

٣- وضع العِلمية أو العقلانية والدين على طرفي نقيض، على أساس أن الدين فكر غيبي يتعارض مع التفكير العلمي والعقلاني»[٤].

رابعًا: الإباحية:

وبعد أن وصلوا إلى هذه الهاوية من الانحدار والتردي لم يعد لديهم شيء محرم أو مقدس، تقول أنيسة الأمين: «الدينامية الهائلة للحداثة تكمن في أنه لا شيء مقدس بالنسبة لها، لا شيء محرم، ... ، كل شيء مباح، ...»[٥].

ويرفع الحداثيون في سبيل ذلك شعار ما يسمونه بتحرير المرأة والذي يريدون منه حرية الوصول إلى المرأة لا حرية المرأة، ويهدفون إلى انفلاتها من عقيدتها ودينها وأخلاقها لتصبح سلعة للمتعة فقط، حتى قال محمود أمين: «لا حداثة بغير تحرير المرأة من كل

(١) قضايا وشهادات (ص: ٣٦٦، ٣٦٨).
(٢) قضايا وشهادات (٢/ ١٠٢).
(٣) ندوة مواقف الإنسان والحداثة (ص: ٣٧٦).
(٤) المنهج السلفي –لا الحداثة– طريق النهضة (ص: ١١).
(٥) قضايا وشهادات (١٠٢/٢).

القيود التي تقيد جسدها وفكرها وحياتها»[١]، يقول عبد الوهاب بوهديبا: «إنما من الملفت أنه في ما يتعلق بالأخلاق الجنسية، الحداثة ليست سوى إرادة اللا (يعني: لا أخلاق)، ولم يكن من قبيل المصادفة أن الحداثة كانت ومنذ البدء مطابقة لتحرر وانطلاق المرأة، وانتهت بأن أصبحت مطابقة للتحرر الجنسي...»[٢].

هذه أصول الحداثة الرئيسة مأخوذة من كلام الحداثيين، ويرجعها الباحثون في الحداثة إلى مبادئ أربعة:

الأول: الإنسانية، أو المذهب الإنساني، أو الذاتية والتي تقوم على مركزية الإنسان ومحوريته في الوجود والمعرفة والتاريخ[٣]، وتحويل بؤرة المركز من الله جل وعلا إلى الإنسان، فالإنسان هو المقدس الأوحد في الوجود لا شيء يعلوه[٤]، معلنةً بذلك القطيعة مع الله تعالى والانسلاخ من الماضي ومن الأخلاق، والنظر إلى الدنيا فقط. وقد كان هذا المذهب وراء فكرة (الدين الإنساني) المنسوبة إلى أوجست كونت مؤسس الفلسفة الوضعية[٥].

الثاني: العقلانية: والتي تعني إخضاع كل شيء لقدرة العقل[٦] والتي تعد انعكاسًا للمذهب الإنساني، فقد احتاج الإنسان لمصدر جديد يستمد منه الحقائق، فكان العقل ذلك المصدر[٧]، وضمنوا ذلك رفض الدين.

الثالث: الحرية: هي إحدى أسس الحداثة، حتى ذهب كانط إلى جعل الإنسان هو الكائن الحر، وجعل من الحرية مقدرة الإنسان على التشريع لنفسه دون سند[٨]

الرابع: التطور: والذي يعني رفض الثبات والتمرد على الثوابت مهما كان مصدرها[٩].

وهذه الأصول أصبحت مذاهب مستقلة بذاتها؛ ولا يخفى تداخل الحداثة مع هذه المذاهب الفكرية وغيرها؛ لأن الحداثة صورة للفكر الغربي الحديث في مجمل اتجاهاته، ولذلك فإن كثيرًا من الناس يجعلون الحداثة مرادفة لفكر الغرب[١٠]، كما مرَّ.

---

(١) مفاهيم وقضايا إشكالية (ص: ٨٢)، وانظر: الحداثة في العالم العربي (ص: ١٥٥٩).

(٢) قضايا وشهادات (١٠٢/٢).

(٣) انظر: موت الإنسان (ص:١٨٦-١٩١)، والحداثة وما بعد الحداثة، لمحمد سبيلا (ص:١٨-١٩)، الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، لعبد الرحمن بدوي (ص: ١٥-١٦)، تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، لغنار سكربيك ونلز غيلجي (ص: ٣٦٨-٣٧٦)، قضايا المرأة في الخطاب النسوي المعاصر (ص: ٢١٥-٢٣٣).

(٤) الأسس الفلسفية للحداثة الغربية، لصدر الدين القبانجي (ص: ٤٥-٤٦)

(٥) انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث (ص: ٤٠١-٤٠٢)، تاريخ الفلسفة الحديثة، ليوسف كرم (ص: ٣٢٧-٣٢٨)، موسوعة الفلسفة، لعبد الرحمن بدوي (ص: ٣١٤).

(٦) انظر: الحداثة وما بعد الحداثة، لمحمد سبيلا (ص: ١٩).

(٧) انظر: الأسس البنيوية لفكر الحداثة الغربية (ص: ٨٧-٨٩)، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث (ص: ١٧٦-١٨٢)، نقد الحداثة (ص: ٣٠-٣١).

(٨) انظر: فلسفة الحداثة في فكر هيغل، لمحمد الشيخ (ص: ٢٦)، وانظر أهم القضايا التي عالجها عبد الله محمد الغذامي في كتابه: الموقف من الحداثة ومسائل أخرى.

(٩) انظر: الأسس الفلسفية للحداثة، لصدر الدين القابنجي (ص: ٢٧٦-٢٧٧)، مراجعات في الفكر العربي المعاصر (قضايا المرأة في الخطاب النسوي المعاصر) (ص: ٢١٥-٢٣٣).

(١٠) انظر: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة (ص: ١٠٧).

المبحث الثالث: أثر الحداثة السلبي على العالم الإسلامي ونهايتها

أثر الحداثة السلبي على العالم الإسلامي:

يتعذر رصد آثار الحداثة على سبيل الخصوص وذلك لتعدد الاتجاهات والتيارات التي يتجه إليها الحداثيون؛ لأنهم يتفقون على رفض كل قديم، ويختلفون في نوع البديل من ماركسي أو علماني أو وجودي أو بعثي أو باطني، كما يصعب حصر آثار الحداثة في أفرادها وآحادها، ولذلك سنضعها في مجالات عقدية واجتماعية وسياسية وغيرها مع ذكر بعض الأمثلة حتى يمكن تصورها على سبيل الإجمال.

أولا: المجال العقدي:

الحداثة ظاهرها التجديد، وباطنها الهدم والتخريب، فهي تستهدف العقيدة؛ لأن ذلك هو أصل منشئها في الغرب.

يقول أحد الحداثيين بأن المعركة الإيديولوجية هي رأس جدول أعمالهم(١).

وتساءلت إحداهن عن حل مشكلة الحداثة في العالم الإسلامي، وذكرت أن من الحلول «حذف الإسلام إلا أنها رأت أن حذف الإسلام صعب، والسعي إليه مطلوب؛ لأن الإسلام بنية عميقة راسخة، في نفوس المسلمين؛ ولذا فمن الصعوبة حذفه ولو قام في البلاد العربية أتاتورك جديد، أما الحل عندها هو إعادة رسم خارطة المقدسات»(٢).

ويقول صاحب كتاب الحداثة في العالم العربي: «ولقد تتبعت كثيرا من الصحف والمجلات والأندية والمهرجانات واللقاءات الأدبية والثقافية فتبين لي أن أثر الحداثيين جد خطير على عقيدة المسلمين»(٣).

وفي الوقت الذي يسعون فيه للطعن في عقيدة الأمة فإنهم يسعون جاهدين لمحاولة تمجيد كل ما هو منكر في تاريخ الأمة، سواء أكان أفرادا أو فرقًا، مثل: «إعلاء شأن الفرق الباطنية، والفلسفية، والصوفية، والمعطلة على اختلاف مذاهبها...بوصفها ظواهر حداثية تمردت على الموروث والسائد والمألوف في العقيدة والشريعة»(٤) أو باعتبار انتماء بعض أصحابها إلى بعض الفرق الباطنية(٥).

---

(١) العرب والفكر التاريخي، للعروي (ص: ٣٥).

(٢) قالته خالدة سعيد في ندوة مواقف-الإسلام والحداثة (ص: ٣٩٩)، وانظر: (ص: ٤٠١).

(٣) الحداثة في العالم العربي (ص: ١٥٤٨).

(٤) المصدر السابق (ص: ١٥٦٠)، وانظر: الثابت والمتحول (٣/ ١٠).

(٥) مثل النصيري علي أحمد سعيد إسبر المعروف باسمه المستعار أدونيس الذي يُعدُّ المُروِّج الأول لمذهب الحداثة في البلاد العربية، وقد هاجم التاريخ الإسلامي، والدين والأخلاق في رسالته الجامعية التي قدمها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة "القديس يوسف" في لبنان وهي بعنوان الثابت والمتحول. انظر: الثابت والمتحول، أدونيس (١/ ١٩-٢١).

بل من آثارها محاولة نشر المذاهب الهدامة تحت ستار الحداثة، فهم قد لا يعلنون انتماءهم إلى مذهب ماركسي أو بعثي أو باطني أو غيرها بل يلبسون ثوب الحداثة ليحاولوا أن يحققوا من خلالها أهدافهم وبخاصة في الدول التي لا يستطيعون فيها المجاهرة بانتماءاتهم. يقول صاحب كتاب الحداثة في العالم العربي: «إن كثيرا من الحداثيين ينتمون إلى الفكر الماركسي، ولبعضهم انتماءات حزبية على مستوى كبير، إلا أنهم لا يصرحون بهذا إلا لخاصتهم أما أمام الناس؛ فإنهم يعلنون الحداثة التي تتفق في كثير من مبادئها مع الماركسية حتى أصبح الانتساب إلى الحداثة أسهل طريق لنقد مصادر الدين وما صدر عنها باسم التحديث أو التجديد أحيانًا»(١).

ثانيا: المجال الاجتماعي:

تتجه الحداثة إلى معارضة كل ما هو قديم بما في ذلك قيم المجتمع وتقاليده، يقول إدوار الخراط: «التعريف الأول للحداثة أنها نفي وأنها نقيض نظام من التقاليد التي رسخت»(٢)، ثم يبين ذلك بقوله: «الحداثة تتحدى نظم القيم الراسخة والسائدة في كل العصور»(٣).

كما تقوم أصول الحداثة على الدعوة التي يسمونها تحرير المرأة، يقول أحدهم: «ولا حداثة بغير تحرير المرأة...»(٤).

ولذا يقول صاحب كتاب الحداثة في العالم العربي: «وفي الأخلاق والسلوك تسعى إلى العبثية والحرية الجنسية، حيث لا يبقى شيء محرم في العقل الحداثي»(٥).

ثالثًا: المجال السياسي:

تذهب الحداثة إلى رفض السلطة تمامًا، ذلك أن من أصول الحداثة عدم الاعتراف بأي سلطة سواء أكانت حكم الشريعة أم فتاوى العلماء أم السلطة السياسية الحاكمة(٦). وهذا ما تشهد به أقوال بعضهم، يقول أحدهم: «الحداثة في جوهرها هي التعبير الأسمى عن نزوع الإنسان إلى رفض السلطة»(٧)، ويذكر آخر أن جيل الحداثة «التهب حماسًا في شتى بقاع الأرض العربية مطالبًا بالتحرر السياسي»(٨).

(١) الحداثة في العالم العربي (ص: ١٥٦٤).
(٢) سبق ذكره.
(٣) الحداثة في العالم العربي (ص: ١٣٩).
(٤) مفاهيم وقضايا إشكالية (ص: ٨٢) وقد سبق ذكره بتمامه.
(٥) الحداثة في العالم العربي (ص: ١٥٥١).
(٦) انظر: الحداثة في العالم العربي (ص: ١٥٥٣).
(٧) مجلة فصول، م٤، ع٤، ج١، ١٩٨٤م، (ص: ٣٧).
(٨) مجلة الآداب، ع ١٢، ديسمبر ١٩٧٩م (ص: ٥٣).

رابعًا: المجال التعليمي والإعلامي:

يقول صاحب كتاب الحداثة في العالم العربي: «ومن آثار الحداثة تغلغل كثير من الحداثيين في وسائل التربية والتعليم والإعلام في العالم الإسلامي وبالتالي يواجهون الناس حسب مناهجهم الحداثية وأفكارهم»(١). ويقول: «وقد تتبعت بعض المناهج الدراسية في بعض الأقسام الجامعية.. وتبين لي أن كتب الحداثيين تقرر على الطلاب والطالبات»(٢). ولذا يدعو أحدهم إلى أن يعمل الحداثي من داخل النظام؛ لأن في هذا أقرب سبل للوصول إلى الشعب والمجتمع وإن كان في داخله يخالف ذلك النظام(٣).

نهاية الحداثة:

يعد الفيلسوف الفرنسي المعروف جان فرانسوا ليوتار (Lyotard) من كبار المفكرين الذين وضعوا الحداثة في قفص الاتهام، وهو من أعلن نهايتها معلناً عن ميلاد عصر (ما بعد الحداثة) في كتابه المعروف (الوضع ما بعد الحداثة)(٤)، حيث يقول: «فرضيتنا العملية هي أن المعرفة تغير وضعها في نفس الوقت الذي دخلت المجتمعات فيما يسمى بعصر ما بعد الحداثة. بدأ هذا الانتقال -على الأقل- في أواخر الخمسينات من القرن الماضي»(٥).

ويقول إيمانويل فالرشتاين: «حين التحقت بالجامعة، أخريات سني الأربعينيات (من القرن العشرين) تعلمنا الكثير عن فضائل أن نكون حداثيين وحقائقها. اليوم، وبعد مرور نصف قرن تقريبًا، هناك من يحدثنا باستمرار عن فضائل أن نكون ما بعد حداثيين وحقائقها، فماذا حصل للحداثة؟ هل صارت شيطاننا الرجيم بعد أن كانت خلاصنا الموعود، هل الحداثة التي قصدناها بالحديث آنذاك هي نفسها التي نتحدث عنها الآن؟ وأية حداثة نحن عند نهايتها اليوم؟... ثم يقول: غير أن الحداثة بهذا المعنى، ونتيجة له، كانت حداثة تسير على طريق الزوال والتلاشي؛ فما هو حديث اليوم سرعان ما يغدو عتيقا في الغد»(٦).

---

(١) الحداثة في العالم العربي (ص: ١٥٦٠).

(٢) الحداثة في العالم العربي (ص: ١٥٦٢).

(٣) انظر: الحداثة في العالم العربي (ص: ١٥٦٢).

(٤) مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، لعلي وطفة (ص: ١١٠).

(٥) (La condition Postmoderne p ١١) نشر الكتاب عام ١٩٧٩م باللغة الفرنسية، وقد ترجم لي هذا النص من الفرنسية تلميذي في الدراسات العليا، الباحث الفرنسي الجنسية: سمير محمد الزعراوي.

(٦) بعد الليبرالية، إيمانويل فالرشتاين (ص: ١٧٣).

وقد كانت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تمثل انطلاق مرحلة (ما بعد الحداثة) للغرب، حيث قام بإعادة نقد حداثته، للخروج عنها بتشكيل مناهج جديدة أكثر ملاءمة للواقع الجديد الذي أفرزته الحروب العالمية.

فجاءت مرحلة (ما بعد الحداثة) لتمثل نقدًا للحداثة ذاتها وتجاوزًا لها، ولهذا قال يورغين هابرماس: «إن الحداثة في جانبها الثقافي مشروع لم يكتمل بعد، وإن الحداثة لم تفِ حتى الآن بكامل وعودها»(١).

وكما كانت نهاية الحداثة فقد جاءت أيضًا نهاية ما بعد الحداثة، وقد كتب رؤول إشلمان كتابًا بعنوان (نهاية ما بعد الحداثة)، كما كتب أيضًا تيري إيجلتون كتابًا آخر في نفس الموضوع سماه (أوهام ما بعد الحداثة)، ومما قال فيه: «إن ما بعد الحداثة ظاهرة خادعة، فكلما أكدتَ على جزء منها وجدته أنه غير صحيح بالنسبة إلى جزء آخر»(٢).

وهكذا كلما افتضح مذهب وبان عواره وملَّه أتباعه، تحول أصحابه إلى تيَّار فكري آخر، وهكذا، فمِن العلمانية إلى الحداثة إلى الليبرالية... تماما كسائر أهل الأهواء قديما وحديثا، يتنقَّلون بين الآراء والمذاهب، وهدفهم مفارقة الحق ومصادمته؛ لأنهم لم يعرفوا الحق ولو عرفوه ما فارقوه.

والحداثة وإن انتهت في عقر دارها –إما بصورة نقد لها أو ارتداد عنها(٣)– فأصبحت الحداثة من الماضي وبدأت مرحلة ما بعد الحداثة؛ إلا أنه في عالمنا الإسلامي وبالأخص عالمنا العربي لا يزال للحداثة دعاة متحمسون لها، لأن المبادئ قد تموت وينتهي وجودها في مسقط رأسها، ولا يزال لها في شرقنا دعاة يدعون لها بحماس أكثر من حماسة مؤسسيها؛ ولذا فقد بقيت بعض آثارها المرة وتراثها الهزيل في عالمنا العربي.

لكن الباطل مهما كان أثره وتأثيره لا يثبت أمام الحق وإذا جاءت أنوار الحق فإن ظلمات الباطل تتلاشى لأن الباطل كان زهوقا، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

(١) انظر: النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة، إبراهيم الحيدري (ص: ٣١٥).

(٢) انظر: أوهام ما بعد الحداثة، تيري إيجلتون (ص: ٩)، ترجمة: د. منى سلام.

(٣) أشار بعضهم إلى اختلاف مواقف الغربيين من الحداثة واضطرابهم حولها، فهناك مدافعون عنها مثل: هابرماس، وهناك منتقدون لها بشراسة مثل: بودريار وليوتار، وهناك من حاول التوفيق بين الحداثة وما بعد الحداثة، مثل: فريدرك جيمسون، انظر: من الحداثة إلى ما بعد النسوية، أماني أبو رحمة (ص: ٢٥-٢٦).

الخاتمة

وتتضمن أهم النتائج والتوصيات:

أولا: النتائج:

١-رغم غموض مطلح الحداثة وعدم تحدد ملولاته إلا أنه يمكن بيان مفهوم الحداثة من خلال أخص خصائصها وأبرز معالمها وأظهر علاماتها.

٢-الحداثة في حقيقتها مذهب فكري يسعى لهدم كل موروث، والقضاء على كل قديم. فهي هنا ليست بمعنى التحديث والأخذ بالجديد المفيد ولكنها رفض للماضي بكل ما فيه من نافع أو ضار.

٣-يرجع تاريخ نشأة الحداثة إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر حيث تم وضع الأسس الفلسفية والسياسية للحداثة، أما كلمة حداثة Modernite فلم تشتق إلا في منتصف القرن التاسع عشر، وفي عام ١٨٤٩م تحديدًا، ثم استعمل لفظ الحداثة سنة ١٩٠٨م بمعنى التجديد في العقيدة الكاثوليكية.

٤-تم إعلان هذا المذهب باسم الحداثة في العالم الإسلامي سنة ١٩٥٧م في تجمع شعر في بيروت، على يد يوسف الخال الذي يعدُّه كثيرٌ من الحداثيين مؤسس الحداثة العربية.

٥-أصبحت الحداثة بعد نكسة ١٩٦٧م تيارا قويا عالي الصوت، خاصة مع صدور مجلة فصول المصرية في بداية الثمانينيات، فأخذت الحداثة العربية صورة التنوير من نظيرتها الغربية، فنبذت الدين، وأعلنت الدولة القومية، وانخلعت من التراث بكامل مكوناته.

٦-من أبرز أصول الحداثة: (١) رفض القديم. (٢) عبادة الجديد وتقديسه. (٣) معارضة الدين. (٤) الإباحية.

٧-للحداثة آثارها السلبية على العالم الإسلامي في مختلف المجالات: (١) المجال العقدي: الحداثة ظاهرها التجديد، وباطنها الهدم والتخريب، فهي تستهدف العقيدة؛ وتحاول نشر المذاهب الهدامة تحت ستار الحداثة. (٢) المجال الاجتماعي: تتجه الحداثة إلى معارضة كل ما هو قديم بما في ذلك قيم المجتمع وتقاليده، كما تقوم أصول الحداثة على الدعوة التي يسمونها تحرير المرأة. (٣) المجال السياسي: تذهب الحداثة إلى رفض السلطة تمامًا، ذلك أن من أصول الحداثة عدم الاعتراف بأي سلطة سواء أكانت حكم الشريعة أم فتاوى العلماء أم السلطة السياسية

الحاكمة.(٤) المجال التعليمي والإعلامي: من آثار الحداثة تغلغل كثير من الحداثيين في وسائل التربية والتعليم والإعلام في العالم الإسلامي، وبالتالي يواجهون الناس حسب مناهجهم الحداثية وأفكارهم.

٨-أعلن الفيلسوف الفرنسي المعروف جان فرانسوا ليوتار (Lyotard) نهاية الحداثة، معلناً عن ميلاد عصر (ما بعد الحداثة) في كتابه المعروف (الوضع ما بعد الحداثة)، وقد كانت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تمثل انطلاق مرحلة (ما بعد الحداثة) للغرب، حيث قام بإعادة نقد حداثته، للخروج عنها بتشكيل مناهج جديدة أكثر ملاءمة للواقع الجديد الذي أفرزته الحروب العالمية، فجاءت مرحلة (ما بعد الحداثة) لتمثل نقدا للحداثة ذاتها وتجاوزًا لها، إلا أنه في عالمنا الإسلامي -وبالأخص عالمنا العربي- لا يزال للحداثة دعاة متحمسون لها.

ثانيا: التوصيات:

١-ضرورة التصدي لأفكار الحداثيين وكشف عوارهم وفضح حقيقة مذهبهم حتى لا ينخدع به بعض المثقفين من أبناء المسلمين.

٢-توجيه الباحثين إلى نقد الحداثة من منظور إسلامي يكشف وجه مناقضتها لأصول الإسلام وقيمه ومبادئه وتشريعاته، ومعارضتها للأعراف والتقاليد التي تمثل هوية الأوطان والشعوب.

٣-دراسة موضوع تستر الباطنيين في العالم العربي تحت دعوى الحداثة (أدونيس نموذجا).

٤-دراسة تساقط وتهاوي هذه المذاهب الواحد تلو الآخر، وارتداد الغرب عنها مع تمسك المستغربين من هذه الأمة بها.

٥-دراسة عجز هذه المذاهب عن تحقيق شعاراتها والوصول لأهدافها، وأن العالم لم يجن من وراءها إلا المزيد من الخواء الروحي والتخبط الفكري والانهيار الأخلاقي.

٦-دراسة سير مؤسسي هذه المذاهب ومدى تمسكهم بهذه المبادئ والأفكار وتأثيرها على حياتهم وسلوكهم، كما فعل العقاد في دراسة سيرة ماركس أثناء دراسته للشيوعية؛ لأن من عجز عن إسعاد نفسه وإصلاح حاله وتلبية حاجاته فهو عن تحقيق أهداف غيره أعجز.

فهرس المصادر:

١) الأسس البنيوية لفكر الحداثة الغربية، د. محمد عادل شريح، دار الفكر المعاصر، دمشق، ٢٠٠٨م.

٢) الأسس الفلسفية للحداثة، صدر الدين القبانجي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، لبنان.

٣) الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، د. عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٧م.

٤) أوهام ما بعد الحداثة، تيري إيجلتون، ترجمة: د. منى سلام، مركز اللغات والترجمة، أكاديمية الفنون، القاهرة،

٥) بعد الليبرالية، إيمانويل فالرشتاين، دار مدارات للنشر والتوزيع، ٢٠٢٢م.

٦) تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، رونالد سترومبرج، ترجمة أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، القاهرة، الثالثة، ١٩٩٤م.

٧) تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، غنار سكيربك ونلز غيلجي، ترجمة: د. حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الأولى، ٢٠١٢م.

٨) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار المعارف، القاهرة.

٩) الثابت والمتحول، أدونيس، دار الساقي، بيروت، لبنان، السابعة، ١٩٩٤م.

١٠) الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر، عبد الرحمن اليعقوبي، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، الأولى، ٢٠١٤م.

١١) الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية، د. محمد بن عبد العزيز العلي، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٤هـ.

١٢) الحداثة والتراث، عبد المجيد بوقربة، دار الطليعة للطباعة والنشر، الأولى، ١٩٩٣م.

١٣) الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة (نموذج هابرماس)، محمد نور الدين أفاية، أفريقيا الشرق، المغرب، الثانية، ١٩٩٨م.

١٤) الحداثة وانتقاداتها، إعداد وترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، المغرب، الأولى، ٢٠٠٦م.

١٥) الحداثة وما بعد الحداثة، محمد سبيلا، دار توبقال للنشر، المغرب، ٢٠٠٧م.

١٦) طرائق الحداثة ضد المتوائمين الجدد، رايموند ويليامز، ترجمة: فاروق عبد القادر، إصدارات عالم المعرفة، المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٩م.
١٧) الموقف من الحداثة ومسائل أخرى، د. عبد الله محمد الغذامي، بدون دار نشر، الثانية، ١٩٩١م.
١٨) العرب والفكر التاريخي، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، المغرب، الخامسة، ٢٠٠٦م.
١٩) فلسفة الحداثة في فكر هيغل، د. محمد الشيخ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الأولى، ٢٠٠٨م.
٢٠) قضايا المرأة في الخطاب النسوي المعاصر (الحجاب نموذجا)، ملاك إبراهيم الجهني، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، الأولى، ٢٠١٥م.
٢١) قضايا وشهادات (العقلانية، الديمقراطية، الحداثة)، طه حسين، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، قبرص، ١٩٨٠م.
٢٢) القول الفلسفي للحداثة، هابرماس، ترجمة: د. فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٩٩٥م.
٢٣) ما الحداثة، هنري لوفيفر، دار ابن رشد للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.
٢٤) ما بعد الحداثة دراسة في المشروع الثقافي الغربي، د. باسم علي خريسان، دار الفكر، دمشق، الأولى، ٢٠٠٦م.
٢٥) مدارات الحداثة، د. محمد سبيلا، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الأولى، ٢٠٠٩م.
٢٦) مدخل إلى التنوير الأوروبي، هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الأولى، ٢٠٠٥م.
٢٧) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م.
٢٨) مفاهيم وقضايا إشكالية، محمود أمين العالم، دار الثقافة الجديدة، الأولى، ١٩٨٩م.
٢٩) مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، د. علي أسعد وطفة، مقال منشور على شبكة الإنترنت، على هذا الرابط: https://watfa.net/archives/٥٣٧٢
٣٠) مقدمة العبر وديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، تحقيق: د. إبراهيم شبوح، د. إحسان عباس، دار القيروان للنشر، تونس، الأولى، ٢٠٠٦م.
٣١) من الحداثة إلى ما بعد النسوية، أماني أبو رحمة، دار شهريار، العراق، ٢٠١٨م.

٣٢) المنهج السلفي –لا الحداثة– طريق النهضة، د. مصطفى حلمي، دار العقيدة، الإسكندرية، الأولى، ٢٠٠٦م.
٣٣) موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، عبد الرزاق الدواي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ.
٣٤) موسوعة الفلسفة، د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الأولى، ١٩٨٤م.
٣٥) ندوة مواقف الإنسان والحداثة، أدونيس وآخرون، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٠م.
٣٦) النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة، إبراهيم الحيدري، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢م.
٣٧) La condition Postmoderne، Jean-François Lyotard